قراءة نظرية في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام من منظور تربوي

الأستاذ المساعد الدكتور
حيدر محسن سلمان الشّويليّ
جامعة ذي قار- كلية التربية للعلوم الصرفة
haidermuhson@gmail.com

المبحث الأول

التعريف بالبحث

أولاً: مشكلة البحث:

إن إيمان الباحث بفكر الإمام زين العابدين عليه السلام التربوي وسمو أهدافه هو دافع أسمى إلى إجراء مثل هذا البحث، فالتربية والمجتمع بشكل عام يتطلب الالتزام بمحددات ودساتير ولوائح قيمة ينطلق منها العاملون في ممارستهم المختلفة، وفي إطار التقدم الهائل في مجالات التطبيق فإنها - أي التربية- أحوج ما تكون إلى تلك المحددات التي تدعم صواب ما يقرره وما يفعله كل فرد عامل بها.

وفي ضوء ما سبق جاء البحث الحالي لتسليط الضوء على فكر الإمام زين العابدين عليه السلام من منظور تربوي لما له من دور مهم في حياة الفرد والمجتمع وهو موجه وضابط للسلوك الإنساني، كما يلعب دوراً مهماً في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي، ويساعد في إعطاء المجتمع وحدته.

ونظراً للدور الفاعل للفكر التربوي الإمام زين العابدين عليه السلام وأهميته. ركز هذا البحث ايضاً على مرحلة الشباب لما لهذه المرحلة من أهمية وتعد من أخطر المراحل التي تواجه الآباء والمربين، واجتياز الشباب لهذه المرحلة بسلام يؤذن بأنه سوف يمضي في حياته صحيح النفس، سوي الشخصية، أما إذا لم يخرج منها الشباب سليمًا، فإن ذلك يؤذن بأوخم العواقب على تكوينه النفسي وسلوكه الاجتماعي في المستقبل[1].

وعلى الرغم من ذلك، فإنّ الدراسات الجادة، والمعمقة فيها، ما زالت قليلة لاسيما في

الفكر التربويّ لأهل بيت الرسول عليهم السلام، إذ لم تلقَ حتى الان العناية الجديرة بالاهتمام من التربويين والمختصين القادرين على سبرِ أعماقها، وبيان فائدتها في الحياة العملية، ويحققون إضافات قيمة في الدراسات التربوية ولاسيما في مجال أصول التربية بخاصة[٢].

ويرى الباحث ان الفكر التربوي للإمام زين العابدين عليه السلام كان ولا يزال منهجاً حياتياً متكاملاً وعنصر فاعل في تكوين شخصية الفرد المتميزة الصالحة في المجتمع عن طريق تزويده بالأفكار، والقيم، والمفاهيم العربية الإسلامية ومبادئ الدين السمحاء منطلقاً من قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[١].

ولقد استلهمت التربية واستمدت قواعدها من أصول القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ومحاضرات خطباء المنبر الحسيني واستشهادهم بسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام، وكلها أكدت على تربية النشئ التربية الصالحة وتزويده بمبادئ الدين الحنيف والقيم الأخلاقية السامية، ويعدّ النبي محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام المثل الأعلى للإنسان في أخلاقه وسلوكه وفيما يتحلى به من محاسن الصفات والخصال ويشهد على ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢].

ومن هنا، وبناءً على ما سبق جاء البحث الحالي لتسليط الضوء على قراءة نظرية في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام من منظور تربوي وبما ينسجم وأهدافه، لمعرفة دور فكر الإمام زين العابدين عليه السلام وأهميته في تنمية القيم الأخلاقية عند الناس.

ثانياً: أهمية البحث:

إن المجتمعات بحاجة الى منظومة قيم تستند إليها، عندما تقوم بالتفاعل الايجابي، بعضها مع بعض ويستلزم هذا التشابه في كل مجتمع، إذ تستطيع هذه القيم أن تكفل قيم المجتمع وأهدافه، ويعتمد ذلك على مدى قبول المجتمعات لمثل هذه القيم أو رفضها إذ ان قبولهم يؤدي فيما بعد الى وحدة بناء المجتمع أو تماسكه. فالاهتمام بفئة الشباب في المجتمع، والانشغال، بقضايا الشباب يعبر عن الاهتمام بمستقبل المجتمع الإنساني ككل، كما أن مرحلة الشباب لا تقل خطورة وتأثيراً في التنشئة الاجتماعية الكلية للإنسان عن مرحلة الطفولة المبكرة، وتعد مرحلة الشباب أكثر مراحل العمر تأثيراً بالتغيرات السريعة التي تطرح

اختيارات عديدة فيما يتعلق بالالتزام بالحاضر والمستقبل[٣].

وتأتي أهمية هذه الدراسة كون موضوعها (الفكر التربوي الإمام زين العابدين عليه السلام وأهميته)، من الموضوعات التي لها الدور الكبير عبر تاريخ الإنسان اذ يعده البعض دافع للتخفيف عن المآسي عن الناس، ويأتي اختيار هذا الموضوع ضمن هذا التوجه لأهميته، الذي يتوجه لترصين وتفعيل توجه الشباب للمشاركة في بناء المجتمع العراقي.

ومن الجدير بالذكر ومن الطبيعي أن تتعدد عطاءات الفكر التربوي الإمام زين العابدين عليه السلام بتعدد آفاق الفكر الإسلامي الرحيب، فهو مدرسة واسعة الأرجاء تمثل شمول الإسلام، وسعة أفقه الموجه للإنسان في مختلف مجالات الحياة.

فضلاً عن ذلك نجد ان الفكر التربوي الإمام زين العابدين عليه السلام يكتنز صوراً عديدة من صور المبدأ والمنهج الإسلاميين اللذين جسدتهما الثورة الحسينية كثورة تعبّر عن أصالة الإسلام المتجسد من خلال أهل البيت عليهم السلام الذين نهلوا من مفاهيم الإسلام العظيمة، فهو يمثل الإطلالة العملية والواقعية على الأمة وجسر التواصل الوحيد معها، الذي يضخ المفاهيم الإسلامية والنصوص الفقهية والتعاليم العبادية التي غالباً ما تبقى حكراً على شريحة محدودة من القراء، ومنها ما جسده في بعده الحضاري وفلسفته الشمولية ـ الإصلاحية وفق منهج يتلاءم مع ضرورات الخطاب الموجه إلى الأمة ويلحظ فوارق الوعي ومستوياته ودرجاته.

فضلاً عن ذلك إن التربية الإسلامية هي الأساس الذي تنبثق منه التوجهات التربوية للأمة الإسلامية؛ لما رسمته منذ البداية من معالم واضحة ساهمت عبر حقب زمنية متعاقبة في تطورها الفكري، فكان اهتمامها بالقيم والمثل العليا، كما رفعت من شأن العلم والعلماء، واهتمت بمظاهر التربية المختلفة، فالإسلام شريعة الله للبشر، أنزلها لهم ليحققوا عبادته في الأرض، والعمل بهذه الشريعة يقتضي تطوير الإنسان وتهذيبه، حتى يصلح لحمل هذه الأمانة، وتحقيق هذه الإرادة التي أرادها الله له[٥].

كما وأن الفكر التربوي هو الشهادة الصادقة على العصر بشتى أوضاعه المجتمعية وأحواله الإنسانية، وهو الرسالة الهادفة إلى التنمية والتحديث. وإذا كان الفكر التربوي يعيش حالات متنامية من التطور والازدهار في البلدان المتقدمة، فإنه ما يزال على العكس

من ذلك يتخبط عندنا نحن العرب في متاهات ودوائر لا متناهية من المشكلات والصعوبات التي غالبًا ما تحكم على خططه واستراتيجياته بالتعثر، وعلى جهوده ووعوده باليأس وعلى توجهاته وآفاقه بالانطفاء، فعلى الرغم من اختلاف الرؤى والتصورات، وتباين الوسائل والطرق، وتناقض المنطلقات، فإن محددات هذا الفكر وبإجماع الكثيرين ما تزال تقليدية في محتوياتها ومضامينها محافظة في أسسها ومبادئها جامدة في توجهاتها وآفاقها، ورافضة منطق التجديد والتحديث. كما أن فكرنا التربوي وفي سعيه المتتالي نحو الابتكار للرقي إلى ما هو أفضل، يجد نفسه أمام جملة من قيود الواقع ومعوقاته، فهو أمام واقع اقتصادي يحبس انطلاقته، وتركيب اجتماعي يشل حركته، ووضع ثقافي يشد مسيرته إلى الوراء، ويحول جهوده أقاويل وأحلام خادعة، فبالإضافة إلى تذبذبه بين التشبث بأصالة الماضي ومجده الخالد، وبين الانفتاح على حداثة الآخر ومستقبله الزاهر، فإنه يتحرك داخل بنية مجتمعية تقليدية في عمقها، توجهها سلطة الأسس والمبادئ المحافظة. ويحكمها منطق المحددات والأساليب العتيقة، وتسيرها ذهنية الحلول والشعارات الفضفاضة فهذا واقع يدركه ويشعر به كل مهتم بالفكر التربوي العربي[٦].

وتأتي هذه الدراسة في وقت حاولت فيه أن تثري الدراسات المناظرة بصيغة أو أخرى، وتقدم نتائج يمكن مقارنتها مع نتائج تلك الدراسات.

وجاءت أيضاً إيماناً بالفكر التربوي للإمام زين العابدين عليه السلام الذي يمثل إحدى أهم المظاهر المهمة، منطلقة من حب الناس للمساعدة والتكافل والتعاون مع غيرهم بدافع إنساني وبدون مردود مادي شخصي.

وبناءً على ما تقدم فقد تناول الباحث في هذا البحث موضوعاً يعتقد بأهميته القصوى في ظل التأثيرات المتنامية مما دفع بالباحث للقيام بهذا البحث، وتكمن أهمية البحث الحالي في النقاط التالية:

١. أنه تناول قراءة نظرية في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام من منظور تربوي، لما له من دور محوري في صياغة مستقبل المجتمع وقيمه، والاعداد للحياة بأبعادها المختلفة.

٢. أن هذا البحث يحاول أن يبرز أهمية الموضوع من حيث انعكاساته على قيم المجتمع في ظل المستجدات المتسارعة من حوله: العالم الجديد، العولمة والغزو الثقافي.

٣. يسعى البحث الحالي للوصول إلى مقترحات وتوصيات، لكي يتمكن المجتمع من مواكبة المستجدات الحادثة، والحفاظ على هويته الحقيقية في ذات الوقت.

٤. في ضوء ما سبق فإنه من المؤمل بأن يشكل هذا البحث خطوة على طريق تقدم المجتمع العراقي ويستفيد منها كل مطلع مهتم بشؤون المجتمع.

ثالثاً: تحديد المصطلحات

أولاً: الفكر التربوي:

١. عرفه (أبو دف، ٢٠٠٦) ": بأنه جملة من المفاهيم والآراء والتصورات والمبادئ التربوية المستمدة من الكتاب والسنة والإجتهاد الموافقة لروح الإسلام من خلال إعمال العقل"(٧).

٢. عرفه (الجابري، ١٩٨٤) بأنه : "جملة الآراء والأفكار والنظريات التي تعبر عن رؤية الإنسان للحياة والعالم، ومعروف أن هذه المبادئ، والأفكار، والمفاهيم، والآليات ليست فطرية ولا غريزية، بقدر ما هي مكتسبة يكتسبها الإنسان نتيجة احتكاكه بمحيطه الطبيعي، والاجتماعي، والثقافي(٨).

- ويُعرف الباحث الفكر التربوي هنا بأنه "جملة المفاهيم والآراء والتصورات والمبادئ التربوية المستمدة من الكتاب والسنة وسيرة أهل البيت عليهم السلام والاجتهاد الموافق لروح الإسلام، من خلال إعمال الفكر".

ثانياً: القيم التربوية.

١. عرفها طهطاوي،١٩٩٦بأنها: عبارة عن مجموعة المبادئ والقواعد التي يؤمن بها الناس ويتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزانا يزنون به إعمالهم ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية(٩).

٢. عرفها سماره٢٠٠٠: عبارة ع ن مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا المستمدة من مصادر الإسلام والتي يؤمن بتا الناس ويتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزانا يزنون به إعمالهم ويحكمون بتا على تصرفاتهم المادية والمعنوية(١٠).

- عرفها البحث اجرائياً بأنها: صفات إنسانية إيجابية راقية مضبوطة بضوابط الشريعة الإسلامية تؤدي بالمتعلم إلى السلوكيات الإيجابية في المواقف المختلفة التي يتفاعل فيها مع دينه ومجتمعه وأسرته في ضوء معيار ترتضيه الجماعة لتنشئة أبنائها وهو الدين والعرف وأهداف المجتمع.

المبحث الثاني

جوانب نظرية

أولاً: نبذة عن حياة الامام علي ابن الحسين عليه السلام هو الامام الرابع من الائمة الطاهرين: علي ابن الحسين ابن علي ابن ابي طالب عليهم السلام.

والده: سيد الشهداء الامام الحسين ابن علي عليه السلام.

والدته: السيدة شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز بن هرمزانو شروان.

جده: امير المؤمنين وسيد الوصيين علي ابن أبي طالب عليه السلام.

ميلاده: في الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة.

كنيته: ابو الحسن وابو محمد.

ألقابه: علي الاصغر لكونه اصغر من اخيه الشهيد في كربلاء علي الاكبر، وزين الصالحين، والسجاد، زين العابدين، والبكاء، وذو الثفنات.

امامته: قام بأمر الامامة بعد استشهاد ابيه الامام الحسين عليه السلام عام ٦١هـ وله من العمر ٢٣ سنة وتوفي مسموما في ٢٥ محرم عام ٩٥هـ وله من العمر ٥٧ سنة[١١].

فضائله: للإمام علي ابن الحسين عليه السلام فضائل عديدة كيف لا وهو من ائمة الهدى الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم وعصمهم بلطفه، ومن فضائله التي تدل على علوا مقامه.

روي عن رسول الله انه قال: "اذا كان يوم القيامة ينادي مناد اين زين العابدين؟ فكاني انظر إلى ولدي علي ابن الحسين ابن علي ابن أبي طالب يخطر بين الصفوف.

وروى جابر الانصاري قال: "كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل عليه الحسين ابن علي

فضمه الى صدره وقبله واقعده الى جنبه ثم قال: يولد لابني هذا ابن يقال له علي إذا كان يوم القيامة ينادي مناد من بطنان العرش ليقم سيد العابدين فيقوم هو.

وقال امير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسين حينما اراد الزواج من شاه زنان: ليلدن لك منها اعلام خير الارض[١٢].

وهذا اليسير من فضائله الكثيرة ولكنها ترشدك الى شموخه وعظيم منزلته عليه السلام[١٣].

آثاره:

١- الصحيفة السجادية وهي من الادعية المأثورة عن الائمة عليهم السلام استعملها الإمام السجاد عليه السلام كوسيلة لتوعية الناس وتربيتهم.

٢- رسالة الحقوق، وهي التي جمعت روايات شريفة في حق الله والوالدين والزوجة والابناء والاخوة والجار والصديق والكبير والصغير.

علمه: إن الذروة التي بلغها الامام علي بن الحسين عليه السلام في الفكر والعمل، تدل على عمق تفكيره، وسمو مكانته العلمية على من سواه في عصره، وهو المعصوم السادس من اعلام الهداية والرابع من الائمة الاثني عشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله والذي جسد الاسلام المحمدي بكلَ ابعاده، في حياته الفردية والاجتماعية، في ظروف اجتماعية وسياسية عصيبة، فحقق القيم الاسلامية المثلى في الفكر والعقيدة والخلق والسلوك وكان نبراساً يشع ايماناً وطهراً وبهاء للعالمين[١٤].

واتفق المسلمون على تعظيم الامام زين العابدين عليه السلام واجمعوا على الاعتراف له بالفضل، وانه علم شاهق في هذه الدنيا، لا يدانيه احد في فضائله وعلمه وتقواه، وكان من مظاهر تبجيلهم له: انهم كانوا يتبركون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم، ولم يقتصر تعظيمه على الذين صحبوه او التقوا به، وانما شمل المؤرخين على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم، فقد رسموا بإعجاب واكبار سيرته، واضفوا عليه جميع الالقاب الكريمة والنعوت الشريفة[١٥].

وقد شغف الإمام زين العابدين عليه السلام كآبائه الكرام، بنحو ملفت للنظر - بالقرآن الكريم وعلومه، وتمثل ذلك في سلوكه اليومي، وادعيته واهتماماته، تلاوة وتدبراً وتفسيراً،

وتعليماً، وعملاً، بما لا يدع مجالاً للريب في أن الامام عليه السلام الناطق والمجسد الحي لكل آيات القرآن الباهرة والمعجزة الالهية الخالدة(١٦).

وحقق الإمام عليه السلام النشاط العلمي غاياته المتوخاة، فالمسجد النبوي الشريف ودار الامام عليه السلام شهدا طوال خمسة وثلاثين عاماً - وهي فترة امامته نشاطاً فكرياً من الطراز الاول إذ استطاع الإمام أن يخلق نواة فكرية لها تابعها ومعالمها المميزة، واستجماع القوى، وتكميل الاعداد من جديد، وقد كان هذا الهدف بحاجة الى إعداد نفسي وعقيدي، واحياء الآمل في القلوب، وبث العزم في النفوس، وقد تمكن الامام زين العابدين عليه السلام بعلمه الهادي والمنظم أن يشرف على تكميل هذه الاستعادة، وعلى هذا الاعداد بكل قوة، وبحكمة، وبسلامة وجد، وقد استقطب الامام بهذا الطريق الجمهور الاعظم من القراء، وحملت الكتاب والسنة، حتى قال سعيد بن المسيب: "إن القراء كانوا لا يخرجون من مكة حتى يخرج علي بن الحسين، فخرج وخرجنا معه الف راكب" (مقدمة الصحيفة السجادية الكاملة).

وقد عرف الامام زين العابدين عليه السلام من قبل كبار علماء عصره والصحابة والتابعين، لذلك فقد اتجه هؤلاء العلماء نحو الاستفادة من بحر علومه، إذ كان عليه السلام منبعاً غنياً للعلم والادب والاخلاق والمعارف الاسلامية عموما (مقدمة الصحيفة السجادية الكاملة).

ومن مصاديق انسانيته المثلى أنه كان له ابن عم، فكان الإمام السجاد عليه السلام يأتيه ليلاً متنكراً فيناولهُ شيئاً من الدناني، فيقول له: لكن علي بن الحسين لا يُواصلني، لاجزاهُ الله خيراً، فيسمع الإمام عليه السلام ذلك، ويتحملُ ويصبرُ ولا يُعرِّفهُ بنفسه، فلما رحل الإمام عليه السلام إلى ربه تعالى، فقد الرجل تلك الصِّلةُ المُعتادة، فعلم أنها من الإمام السجاد عليه السلام(١٧).

صفاته: لقد توفرت في شخصية الإمام علي بن الحسين عليه السلام جميع الصفات الكريمة فكان الإمام السجاد عليه السلام شاباً حسن الوجه وحسن القامة، طريف الشمائل، أي عليه شمله وله ذؤبتان، وكان يعتم بعمامة بيضاء فيرخي عمامته من وراء ظهره، وله شعر طويل، وكان يخضب بالحناء والكتم، وأنّه كان ذا كفايات عقلية عظيمة ومنزلة في الفضل والعلم والتقوى، وكان يحفظ القرآن، ويحتج به على صغر سنه، وكان حاضر البديهه، طلق اللسان، وكان له جلاله عجيبة، فقد كان اهلاً للامامة العظمى، لشرفه، وسؤدده وعلمه، وكمال عقله، وكان ذو ثقة، مأموناً، عالياً، رفيعاً، ورعاً، وكان ذاكراً، خاشعاً، صابراً،

وكان عازماً بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضاً عن الجدال والخصومات، على الرغم من انه كان عليل الجسم، نحيل البدن(١٨).

احبته المدينة كلها، وتسابقت الركبان بذكره وفضله، قد تواضع فأرتفع، وتطمأن للناس فأعزوه، واحب ضعاف الناس فأحبه كل الناس، كان للفقراء مواسياً، وعلى اليتامى حامياً، ذلك هو الامام (زين العابدين) عليه السلام ابن الامام الحسين عليه السلام بقية السيف من ابناء الحسين وبه، حفظ نسل ابي الشهداء صريح الظلم في كربلاء. (المصدر السابق)

إنه في وسط هذه الاحزان والالام النفسية تبعث الرحمة منه، ففاض قلبه بها، فكان جواداً يسد دين اهل المدينة وحاجة المحتاجين ويفيض سماحة وعفواً.

وبهذا النبل والسمو والرحمة والعطف، اشتهر علي بن الحسين عليه السلام في ربوع الحجاز ولاسيما في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وعلا الى درجة لم يصل اليها ابناء الخلفاء، فكان المهيب من غير سلطان. (المصدر نفسه)

أما ملبسه فقد كان يلبس الجبة الخز، والمطرف الخز والقلنسوة في الشتاء، فيشتوفيه فإذا جاء الصيف باعه وتصدق بثمنه، وروى حسين بن زيد بن علي عن عمه محمد الباقر عليه السلام أنّ الامام علي بن الحسين عليه السلام كان يشتري الخز بخمسين ديناراً ويلبس ما دون ذلك من الثياب، ويقرأ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾(٣).

وكان يقول(أني لا ستحي أن أكل ثمن ثوب قد عبدت الله فيه) وكان السجاد عليه السلام يتصف بالعبادة، وكذلك عرف عنه صدقة السُ، وأنّه يجوب بيوت الفقراء والمحتاجين ليلاً، وكان يعول أكثر من اربعمائة بيت في المدينة(١٩).

ثانياً: الفكر التربوي

مقدمة:

يمثل الفكر التربوي الإطار النظري، لما يحتاجه المجتمع في بناء نظامه وبرامجه التربوية ووضع أسسها وقواعدها ويشير (الكيلاني) إلى أن النمو الحضاري والنمو الفكري يسيران جنباً إلى جنب، وما الفكر التربوي إلاّ نتاج حضارة عريضة، امتدت على مدار أربعة عشر قرناً من الزمان وقد استمد قوته وحيويته من الدين واستطاع الفكر التربوي الإسلامي، أن

ينتج الإنسان الصالح القادر على التكيف مع واقعه (المصدر السابق).

وتأتي دراسة الفكر التربوي الإسلامي، في كل مرحلة من مراحل التاريخ، لتمكن الدارس من الوقوف على أفضل الأساليب وأجداها، في إعادة صياغة عقلية الإنسان المسلم في ضوء التغيرات، بدلاً من الوقوف جامداً، حيال ما يجري حوله من أحداث[٢٠].

وقد حوى القرآن الكريم إطاراً عاماً للمعرفة والقيم وتصورات أساسية عن المجتمع وغير ذلك[٢١]، وكان للقرآن الأثر الكبير، في إعلاء قيم المسلمين وترقية فكرهم وأخلاقهم وضبط سلوكهم وتوجيههم نحو التأمل والتدبر سعياً إلى اكتشاف المجهول، مما أثرى الحياة الفكرية.

وعلى الرغم من أن لكل مجتمع من المجتمعات، فكره التربوي الخاص به وأن ما يصلح لمجتمع لا يصلح لآخر، إلا أن المتفحص لمناهجنا التربوية في العالم العربي يجدها - في كثير من جوانبها - متأثرة بالفكر الغربي[٢٢].

وقد نتج عن ذلك معاناة الواقع التربوي العربي والإسلامي، من الازدواجية الخطيرة، الناتجة عن التبعية وفقدان الأصالة والذاتية، التي ولّدتها العلمانية في جميع مظاهر الحياة واتخذت لها أبعاداً خطيرة، أدت إلى الثنائية والإنشطار في الكيان الاجتماعي والفكري[٢٣].

وخروجاً من دائرة التخلف والضعف الحضاري والتراجع في مجال الفكر التربوي، كان لابد من إعادة النظر في تراثنا الثقافي، لنجد فيه ضالتنا ونستلهم منه عوامل نهضتنا من جديد.

ويشير (زيغور) أن لكل مرحلة زمنية، سماتها ومنابعها وعلمائها وفكرها المنبثق عن حركتها الحضارية والإنسانية، حيث لا تخلو حقبة من نموٍ في حركة الفكر التربوي الإسلامي، مهما أصابها من الضعف[٢٤].

رؤية في الآثار التربوية في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام من منظور القيم التربوية

١ـ القيم التربوية الإسلامية:

يعتقد الباحث أننا مدعوون لنتناول في هذا البحث موضوع القيم التربوية الإسلامية، وهو موضوع قديم وخطير، حيث تقوم لأجله الصراعات قديمًا وحديثًا وكل حضارة تحاول

نشر وفرض قيمها على الحضارات الأخرى مستخدمة عدة أساليب وأدوات لتحقيق هذه الغاية.

والقرآن الكريم كتاب الله عز وجل الخالد ودستور المسلمين إلى قيام الساعة أنزله على رسوله الأمين لينظم حياة الناس ويضبط أمور معاشهم، ويهديهم إلى ربهم ويردهم إلى طريق الصواب ولتستقيم حياتهم وليكون المرجعية الأولى للمسلمين في كل أمور حياتهم وحين تعترضهم أي مشكلة، ولهذا الأمر اهتم المسلمون الأوائل بالقرآن وربوا أبناءهم على تعاليم الإسلام وزرعوا فيهم حب الله ورسوله والقرآن وحب الخير لجميع الناس، والعمل على نفع البشرية جمعاء وإنقاذ الناس جميعا من الاستعباد البشري، فقد سادوا العالم بأسره وحكموا فيه بالقرآن وعبدوا الناس لخالقهم بعد أن أخرجوهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فكانوا منارات يهتدي بهم في بحار الظلمات و أعلام شامخة يقتدي الناس بهم، وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها فكان العالم كله يشهد لهذه الحضارة الإسلامية الزاهرة بالتقدم والحضارة التي لا مثيل لها، لذلك وجب على الباحثين في التربية الإسلامية أن يستمدوا مبادئ التربية وقيمها من مصادر سليمة، و أن تبنى قواعدها على أسس صحيحة تصل فيها نسبة الصدق إلى أعلي درجاتها بحيث لا يكون فيها مجال للخطأ، ولهذا يجب أن تقوم التربية على أسس صادقة متينة تستمد من كلام الله عز وجل وكلام نبيه عليه السلام واهل بيته الاطهار عليهم السلام.

ثم بعد ذلك تأتي اجتهادات العلماء الراسخين في العلم، ويجب الاعتماد على التربية الإسلامية لتربية أبنائنا فالتربية الإسلامية تعني الإعداد المسلم الصالح لحياة الدنيا والآخرة(٢٥).

وتبدو أهمية القيم في قدرتها على تحقيق تكامل والاتزان سلوك الإنسان وقدرته على مقاومه القيم المنحرفة والتوازن بين مصالحه الشخصية ومصلحة المجتمع وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، كما يظهر أثر القيم في تحويل المجتمع من مجتمع له حدود جغرافية إلى مجتمع ممثل لجميع البشر(٢٦).

ولذلك لابد من الرجوع إلى القرآن الكريم لاستنباط القيم والمبادئ والأهداف والمفاهيم والأسس التي لا بد أن نربي أبناءنا عليها(٢٧). وتعد القيم من المفاهيم الجوهرية في

جميع ميادين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والفلسفية ذلك أنها تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها، فالقيم هي معايير وأهداف لابد إن نجدها في كل مجتمع منظم سواء أكان متقدما أم متأخراً، ولكل امة ثقافتها الخاصة بها[٢٨].

فالقيم العليا هي التي تقر الفطرة السليمة لكل إنسان عاقل سوي، لأنها خيرة نافعة عادلة من خلال قول أو عمل أو تصرف والتي تبذل على أسس، منها علاقة الإنسان بأخ يه الإنسان في كل نشاط يقوم به، سواء أكان سياسيا أم اقتصادياً أو اجتماعياً أو فكرياً ، حيث لا بد من وجود معايير يحتكم إليها الناس في تعاملهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض ليعيشوا في سلام ووئام وحب وتعاون وتعاطف وتراحم وحق وعدل وخير، فيسودهم الأمن والرضا والاطمئنان وبذلك يستطيعون العمل بكفاية لخير أنفسهم ومجتمعهم[٢٩].

ويعد موضوع القيم الإسلامية من أعقد الموضوعات وأكثرها حساسية نظرا لتشعبها وشمولها وتعدد جوانبها، فالبحث فيها بحث في القرآن والسنة وما تتضمنه من معاملات وعبادات وعقائد وأخلاق كما أنها تعالج الميادين جميعها للحياة النفسية والاقتصادية والاجتماعية، وللقيم الإسلامية طبيعة منفردة لأنها تنبع من العقيدة الإسلامية أساسا لا من المصلحة المؤقتة وتجعل الإنسان الأساس الذي تقوم عليه كافة القيم كما أنها تهدف إلى تحقيق مصلحة الإنسان التي لا تقف عند حد الحياة الدنيا بل تمتد إلى الحياة الآخرة[٣٠].

وتعد القيم أحكاماً معيارية تفضيلية ثابتة نسبيا حيال الظواهر والموضوعات والأشخاص والأفكار، وتحدد تفاعل المرء معها. وتنظم قيم الفرد والمجتمع في منظومة قيمية شاملة بحيث تمثل كل قيمة في هذه المنظومة عنصرا من عناصره وتتفاعل هذه العناصر معا لتؤدي وظيفة معينة بالنسبة للفرد، كما ترتبط فيما بينها في إطار هرمي ينظمها وفقا لأهميتها من القيم الأقل أهمية إلى القيم الأكثر أهمية[٣١].

إن المجتمع الإسلامي يعاني من قصور في تأكيد ذاته وهويته الثقافية إلى جانب معاناته من قصور في الوسائل الحضارية المادية، وهذا يعود في حقيقته إلى الضعف في الجانب القيمي لديه وهذ ا أدى إلى وجود انفصام بين التصور والواقع والأهداف والوسائل والغايات.

٢ـ وسائل تنمية القيم الإسلامية:

حاول علماء التربية قديماً وحديثاً أن يهتدوا إلى منهج تربوي شامل يعني بتحديد

الأساليب والقيم والمعايير الكفيلة بدراسة ما يناسب مرحلة عمر الإنسان المختلفة التي يمر بها وقد بذلوا في هذا الصدد جهوداً كبيرة وشاقة ومتواصلة حتى استطاعوا التوصل إلى نظرات ومقترحات وتوصيات تعد من وجهة علمية قيمة ونافعة، وبسبب المشكلات المختلفة لم يتمكن العديد منهم من تحديد المنهج الدقيق الذي يمكن الاستناد إليه في معالجة المشكلات الحديثة المعقدة التي تكتنف تلك المرحلة الحساسة من عمر الإنسان، كما أخفقوا في حل الصعوبات المتزايدة يوماً بعد آخر التي تواجه الآباء والأمهات والمربين في هذا المجال.

إن المنهج الإسلامي الذي يمكن تحديد معالمه وقواعده بالاستناد إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يهدف إلى تحقيق تربية متزنة للإنسان تبدأ من قبل أن ينعقد جنينا في رحم الأم وتستمر معه إلى سن الرشد، مروراً بمرحلة الحمل، والولادة، والرضاعة، والطفولة المبكرة.

وتحدد ملامح القيم الإسلامية وسائل مختلفة في كيفية إعداد الطفل نفسياً وعقلياً وسلوكياً، إن اختلاف الطرق والأساليب التربوية في يومنا هذا، يحتاج منا إلى تطبيق مفاهيم ديننا وهدي نبينا صلى الله عليه وآله وسنته، وبين الثقافات الأخرى الوافدة على قيم ديننا ومبادئه، من انفتاح لتقنيات الحديثة، التي سخرها الغرب لنشر ثقافته وسلوكياته.

ولا شك أن المربي يضطلع بالعبء الأكبر من هذه المسؤولية التي حمله الله تعالى إياها، ولكن تقصير بعض المربين في مسؤوليتهم لا يعفي الجهات الأخرى المسئولة في التربية من سد الخلل، وتدارك النقص إذ الجميع مسئول في عملية التربية سواء كانت هذه التربية مقصودة أو غير مقصودة، وذلك لبناء الأسرة وتكوينها.

وقد أشار كثير من علماء التربية الإسلامية، ومنهم ابن سينا وابن خلدون أنه لا يجوز للمربي أن يلجأ إلى العقوبة إلا عند الضرورة القصوى وأن لا يلجأ إلى الضرب إلا بعد الزجر والتهديد والوعيد، لإحداث الأثر المطلوب في إصلاح الطفل، وتكوينه خلقياً ونفسياً[٣٢]. ولقد أثبتت التربية النبوية الفعلية إمكانية التربية الأسرية من دون استخدام ضرب الأولاد أو النساء لأن أسلوب ترك الضرب يحفظ كرامة الإنسان بصورة، ويوثق علاقة التواصل والمودة، وتعزيز فرص التقارب والمحبة في الأسرة والمدرسة، ويبني الشخصية الإنسانية المعتدلة التي تميل إلى التسامح وتأخذ حقها بحكمة. والعملية التربوية

تقوم على مبدأ الرعاية والرغبة في الإصلاح لا الوصاية والتسلط والإرغام ولا يتحقق التأديب إلا بالتدريب، ولا ننال المقصود إلا ببذل المجهود(٣٣).

ومما يلفت الانتباه أن الطفل بفطرته مبني على معرفة الخير، وبهذا فإن القيم الإسلامية تستهدف الكشف عن جوانب هذا الخير وتقويتها، ومعرفة الأسس في أساليب التربية ومنها الرفق واللين.

ولا شك إن التربويين يرون البيئة ذات تأثيرات عظيمة في عملية التنشئة عموماً ولتنمية القيم في المجتمع الإسلامي وسائل عديدة ومتنوعة منها:

١- العبادات
٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣- ضرب الأمثال
٤- الموعظة الحسنة
٥- القدوة
٦- القصة
٧- الحوار
٨- السؤال والمناقشة
٩- استثمار الأحداث الجارية والمناسبة
١٠- أسلوب تفريغ الطاقة
١١- الممارسة والعمل
١٢- أسلوب العادة والتكرار
١٣- الترغيب والترهيب.
١٤- الإقناع والاقتناع.
١٥- الموعظة والنصح.
١٦- المعرفة النظرية.
١٧- عن طريق اللعب.
١٨- عن طريق الجواب.
١٩- عن طريق الاستكشاف الموجه الحر.
٢٠- عن طريق الدافعية.
٢١- عن طريق التعليم بالتعزيز بالإيجابي والسلبي.
٢٢- عن طريق المبادرة الإيجابية والتدخل.
٢٣- التعديل المباشر للسلوك.
٢٤- المدح والثناء
٢٥- عدم الإكثار من اللوم والعتاب
٢٦- الاستجابة الحرة غير المقيدة.
٢٧- المثير والاستجابة.
٢٨- الارتباط الاقتراني.
٢٩- الاستبصار وحل المشكلات.
٣٠- المحاولة والخطأ.
٣١- تهيئة البيئة وإعدادها.
٢١- التعليم بالتجريب.
٣٣- بتراكم الخبرات.

واضافة إلى ما تقدم، فقد أقتصر الباحث في دراته للقيم التربوية الإسلامية على القيم الأخلاقية والقيم الاجتماعية، ويمكن استعراض هذه القيم على النحو الآتي:

١. القيم الأخلاقية:

ان القيم الأخلاقية تمثل علاقة الإنسان بربه ومجتمعه، وبالكون الذي يعيش فيه، ونظرته إلى نفسه والى الآخرين وإلى سلوكه وكيفية ضبطه، والى مكانته من المجتمع بأنظمته وبماضيه وحاضره ومستقبله، والتي تتمثل في مجموعة القوانين والأهداف والمثل العليا بصورة تمثل الاستقرار، وتصلح للتنبؤ بالسلوك في المستقبل(٣٤).

وقد استخلص الباحث عدداً من القيم الأخلاقية التي وجدا من خلال ما تناوله من دراسات حولها اتفاقًا مشتركًا بين العديد من الباحثين، أمثال: طهطاوي (١٩٩٦)، وبربخ (٢٠٠٠)، وسمارة (٢٠٠٠)، وصالح (٢٠٠١)، على كونها قيمًا أخلاقية اسلامية أساسية، وفيما يلي استعراض لهذه القيم بشكل أكثر عمقًا، وهي:

١. قيمة الصدق: من القيم المفضلة وهي تعني قول الحق والتزام الحقيقة(٣٥).

٢. قيمة الإحسان: الإحسان إيثار وهو ثمرة طيبة للنفس النقية التقية المخلصة في العمل والعبادة، وقيمة الإحسان تعني ألا يعطي الإنسان وهو كاره أو مجبر، ولا هو متعجب أو راض عن نفسه، لأن ذلك إحسان ظاهري، وهذا يناقض معنى الإحسان كنوع من عبادة المؤمن لله(٣٦).

٣.قيمة التواضع: التواضع صنفان، تواضع عامي وهو الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن والمركب، وتواضع خاصي وهو تمرين النفس على قبول الحق ممن كان وضيعًا أو شريفًا(٣٧).

٤. قيمة الوفاء: تعني إيثار النفس الخالصة من شوائب الهوى، ويقظة القلب النقي من موافقة الشر، وتجنب لمهاوي الأنانية وإقبال على الجود والسخاء والعطاء(٣٨).

٥. قيمة الأمانة: تعني الأمانة مدى التزام الفرد بالمحافظة على ممتلكات الغير وعدم إتلافها وإعطاء الحق لصاحبه ورد الأمانات إلى أهلها(٣٩).

- أهمية القيم الأخلاقية

تتمثل أهمية القيم الأخلاقية في عدة نقاط أهمها:

١. للقيم الأخلاقية دورها في تماسك المجتمع وسعادته، وبعده عن الفوضى والشقاء فضلاً عن دورها في إحداث التوازن وتحقيق التكيف(٤٠).

٢. تعمل على تنمية الوازع الديني لدى الإنسان دون أي تطرف أو مغالاة كما تعمل على تربية الضمير الإنساني وحمايته من الأنانية ونكران الذات في سبيل صالح المجتمع(٤١).

وقد تبين للباحث بعد اطلاعه على سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام وفكره التربوي إنّ المصدر الذي استقى منه الإمام زين العابدين عليه السلام قيمه القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، التي قام عليها النظام التربوي الإسلامي، إذ أنّ العقل وحده هو ما الذي تستند إليه المذاهب المادية الوضعية في ذلك، وليس مبرءً من الهوى، فضلاً عن كونه محدود الآفاق في علمه بحقيقة الانسان والحياة وارتباط القيم بالدين قائم على أساسين هما: الأول يتعلق بصحة القيم الصادرة من الدين ومصداقيتها وملاءمتها للفطرة. والأساس الثاني يتعلق بالشحنة القوية التي تتحرك بها القيم عبر النفوس التي تستمد قوامها من مبادئ الدين.

كما تبين للباحث مما تم استعراضه أن القيم الأخلاقية السابقة هي قيم أخلاقية أصيلة تتفق وتعاليم ديننا وعادات مجتمعنا، وأنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة للمجتمع، وهذا ما يبرر أهمية هذا البحث في تنمية هذه القيم.

٢. القيم الاجتماعية:

حيث يعبر عنها باهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس، فهو يحبهم ويميل إلى مساعدتهم ويجد في ذلك إشباعًا له(٤٢).

واستخلص الباحث عدداً من القيم الاجتماعية التي وجدا من خلال ما تناولاه من دراسات حولها اتفاقًا مشتركًا بين العديد من الباحثين، أمثال: طهطاوي (١٩٩٦)، وبربخ (٢٠٠٠)، والهندي (٢٠٠١)، وزقوت (٢٠٠٠)، وسمارة (٢٠٠٠)، كونها قيماً اسلامية اجتماعية أساسية وفيما يلي استعراض لهذه القيم بشكل أكثر عمقًا، وهي:

١. قيمة التعاطف: وتعني وجود اتجاه لدى الفرد نحو مشاركة الآخرين في مشاعرهم وانفعالاتهم ومواقفهم المؤلمة وتفهم معاناتهم والإحساس بها(٤٣).

٢. قيمة بر الوالدين: يعتقد الباحث أن المقصود ببر الوالدين هو مدى التزام الابن بخدمة والديه والتذلل لهما، والسهر على راحتهما، وكسب رضاهما، والدعاء لهما بالرحمة، واحترامها في الكبر.

٣. قيمة مساعدة الآخرين: تعرف على أنها مدى التزام الفرد بمساعدة من هو محتاج ومد يد العون له سواء أكان كبيراً أم صغيراً(٤٤).

٤. تحمل المسئولية: يعتقد الباحث أن المقصود بقيمة تحمل المسئولية هو قيام الفرد بواجباته تجاه دينه ومجتمعه وأسرته والمحيط الإنساني من منطلق قناعة ذاتية.

٥. قيمة احترام الآخرين: تعني مدى التزام الفرد باحترام من هو أكبر منه سنًا قولاً وفعلاً(٤٥).

٦. قيمة الصداقة: صلة من الصلات التي تربط الفرد بأشخاص يؤثرون فيه ويتأثرون به، ويقتربون من حياته اقترابًا خطيراً لأمد طويل(٤٦).

٧. قيمة التعاون: تعني مشاركة الآخرين والتضامن معهم في كل ما يساعد على إسعاد الفرد والجماعة(٤٧).

- أهمية القيم الاجتماعية

تتمثل أهمية القيم الاجتماعية في عدة نقاط اهمها:

١. إن للقيم الاجتماعية دوراً في تشكيل الشخصية السوية المتكاملة للفرد المسلم، كما تهدف إلى بناء وتنمية عامل الضبط الاجتماعي في الإنسان، وهو ضبط داخلي ينبع من ذات أو ضمير الإنسان فيكون هاديًا له إلى معرفة وتمييز المقبول وغير المقبول، والحلال من الحرام، وضبط خارجي يتمثل في الالتزام بتعاليم الإسلام المتعلقة بكل من أمور الحياة الاجتماعية المختلفة(٤٨).

٢. تغرس لدى الشباب المسلم أن فعل الخير جزء لا يتجزأ من مهمة المسلم التي أمره

الله بها، فمن هنا فكل فرد ينبغي أن يكون عضواً نافعًا في جماعته، يفعل الخير ويدعو إليه، ويكره الشر وينهي عنه، ويشارك في كل عمل ينهض بالمجتمع.

ويرى الباحث إنّ أول شيء تثمره القيم التربوية الاسلامية في البناء الشخصي للإنسان المسلم تقوية صلته بالله عز وجل الى الدرجة التي تجعله يراقبه في السر والعلن في كل حركاته وسكناته، فهو يراعي حرمة الله عزّ وجلّ، ومعنى ذلك أنّ المسلم في علاقته مع ربه يستشعر الخشية والخوف منه في الوقت نفسه الذي يتوجه اليه بالرجاء، وهذا ما لاحظناه في تأكيد الإمام زين العابدين عليه السلام فهو يستحضر الله عزّ وجلّ في كلّ حركاته وسكناته وما من عمل يقوم به أو يدعو له إلاّ وكان الذكر الرباني حاضراً فيه، ومن ذلك نستنتج أنّ نظام القيم التربوية في الاسلام يجمع شتات الانسان ويركز طاقته وامكانياته حول مركز واحد هو الولاء لله عز وجل وابتغاء وجهه الكريم.

وقد اتضح للباحث مما سبق أن القيم الاجتماعية الواردة أنفًا هي قيم حسنة تنسجم مع الأعراف الدينية السمحة والتعاليم الإنسانية والعادات المجتمعية السليمة.

دور الإسلام في التربية:

إن أي حياة لا تبنى على العقيدة الإسلامية الصحيحة هي حياة لا تحمل أي خير ولا تشمل أي إصلاح، وأي تربية لا تستمد من العقيدة الإسلامية، ولا تنبع منها هي تربية قاصرة على بلوغ مرادها وتحقيق أهدافها، إذ العقيدة ذات فاعلية كبرى وأهمية قصوى في توجيه سلوك الفرد نحو الخير والصلاح(٤٩).

أما القرآن الكريم فهو منهج عظيم لحياة هادفة شريفة، حيث أنه دستور ونظام شامل متكامل لجميع جوانب الحياة الإنسانية، الأخلاقية، الاجتماعية، الاقتصادية، البيئية، الصحية، النفسية، الروحية، الجسمية، والسياسية. وينبغي لمن يريد أن يحيا حياة كريمة، وآمنة أن يفهم ما جاء في القرآن الكريم، ويدرسه ويتدبر معانيه وأحكامه ويعمل بها، ويطبق ما جاء فيه من قوانين ونظم في كافة جوانب الحياة.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحفظون آيات القرآن الكريم خمساً، خمساً، لا يتجاوز لغيرها حتى يحفظون الآيات الخمس الأولى، ويفهمونها، ويعملون بما فيها(٥٠).

ولقد أصبح المسلمون خير أمة أخرجت للناس، ثم قامت بنشر الإسلام وتعاليمه للناس، حتى وسع أقطار العالم. واعتنق الناس الإسلام طواعية دون إكراه، لما لمسوه في المسلمين من كمال عقيدتهم، وحسن أخلاقهم وجميل عشرتهم. كما أن مسائل الإيمان إذا استقرت في النفوس وتعلقت بها القلوب، واطمأنت إليها تحركت الجوارح على ضوئها، ومالم تبلغ هذا المبلغ لا تعد عقيدة بمعناها الحقيقي الذي مداره على اللزوم والتأكد المبني على الإدراك التام.

تصور مقترح:

يتميز المجتمع الإسلامي بالقيم والفضائل السمحة التي تحلى بها من خلال ارتباطه بالقيم الروحية والتقاليد الدينية، وهي التي تحكم حياتنا وتوجه سلوكنا وتكسبنا ما نحن عليه اليوم من تماسك وتعاون وتوحد في الفكر والعمل، والانثربولوجيا مهمتها الأساسية هي تمكين الإنسان من فهم نفسه عن طريق فهم مجتمعه حيث يجعلنا أكثر وعيا بالوحدة الأساسية للإنسان مما يسمح لنا أن نقدر ونفهم بعضنا البعض.

وفي هذا البحث حاولنا أن نحدد بعضاً من اشراقات الفكر التربوي للإمام زين العابدين عليه السلام التي تميز بها والتي نعيشها اليوم رغم كل الظروف والتي ساهمت بدفع حركة الحياة للمحافظة على شخصية الأمة ووقوفها أمام التحدي والتذويب.

وقد دلت على مفهوم التسامح والتعايش السلّمي الذي اصبح اليوم ليس غريبا في المنظور الإسلامي، بل تعتبر مرتكزات ومبادئ جاء بها الإسلام، من خلال الدعوة إلى التسامح ونبذ الخلافات والفرقة، بل تعتبر واعتبرها ضرورة اجتماعية وسبيلا لضبط الاختلافات وادارتها إلى درجة أن المسلم أصبح ملزما بمقتضيات التسامح والعدالة، حيث انعكس ذلك على منظومته الأخلاقية والسلوكية وبرزت في مفاهيم الرفق، والإيثار، والعفو، والإحسان، والقول الحسن، والألفة والأمانة.

وفي ضوء المتغيرات الثقافية والعلمية المتزايدة غدت وسائل الإعلام مصدراً هامًا من مصادر التأثير والتنشئة الاجتماعية، ويزداد هذا الدور المهم لتلك الوسائل كلما كان المجتمع متجهًا نحو الانغلاق أكثر منه عندما يكون المجتمع منفتحًا، كما يزداد كلما كان المجتمع أميًا

أكثر منه متعلماً. وتأتي أهمية وسائل الإعلام من قدرتها على تقديم خبرات متنوعة وثرية وجذابة للصغار والكبار معًا، ومن هنا يمكنها أن تشارك باقي المؤسسات التربوية في تقبل عمليات التغير الاجتماعي وغرس القيم المرغوبة[٥١]، وهناك دراسات عديدة على جميع المستويات العالمية تشير إلى العلاقة الإيجابية الوطيدة بين البرامج التي يبثها التلفاز وبين توجه الشباب والأطفال إلى الانحراف والعدوانية والعنف. ومن هنا يعتقد الباحث أن وسائل الإعلام لابد لها من أن تعمل على:

١. إكساب الشباب للقيم الاجتماعية المنبثقة من تراثنا الإسلامي، لكي تنعكس ايجابيًا في تشكيل الشخصية السوية القادرة على المشاركة والتفاعل مع الآخرين.

٢. تنمية مفهوم المواطن الصالح في أسرته وفي مجتمعه، ولشعبه ووطنه، ولأمته العربية والإسلامية، وللإنسانية كلها جمعاء.

المبحث الرابع

النتائج العامة والتوصيات والمقترحات

أولاً: النتائج العامة

رؤية الباحث..

أولاً: إن الإسلام دين، وعبادات ومعاملات، وشعائر وشرائع، وهو مادة وروح، وهو منهج حياة، تتفاعل فيه القيم الإيمانية والقيم الأخلاقية لتفرز سلوكيات سوية للمستهلك نحو اتخاذ القرار الرشيد في جميع أموره.

ثانياً: يرى الباحث ان هناك أثر فعال للفكر التربوي للإمام زين العابدين عليه السلام تدفع الانسان نحو اتخاذ القرار الرشيد الذى يحقق له مقاصد الشريعة الإسلامية والتي تتمثل في: حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، كما يجب التحذير من المفاهيم المستوردة والتي تتعارض مع قيم الإسلام لا سيما في ظل العولمة.

ثالثاً: إن ديننا الإسلامي هو دين التسامح والمحبة والسلام. وهو عقيدة قوية تضم جميع الفضائل الاجتماعية والمحاسن الإنسانية، والسلام مبدأ من المبادئ التي عمق

الإسلام جذورها في نفوس المسلمين، وأصبحت جزءاً من كيانهم، وهو غاية الإسلام في الأرض. وقد تجلى ذلك في الفكر التربوي للإمام زين العابدين عليه السلام، إذ يمكن الاستدلال من خلالها ان الإسلام والسلام يجتمعان في توفير السكينة والطمأنينة.

ومما لا شك فيه أن النبي محمد صلى الله عليه وآله جاء سلاماً ورحمةً للبشرية ولإنقاذها وإخراجها من الظلمات الى النور حتى يصل الناس جميعاً إلى أعلى مراتب الأخلاق الإنسانية في كل تعاملاتهم في الحياة.

رابعاً: يمكن استنباط الكثير من المفاهيم والقيم التي تضمنها الفكر التربوي للإمام زين العابدين عليه السلام، إذ بينت إن السلام هو أمنية ورغبة أكيدة يتمناها كل إنسان يعيش على هذه الارض، فالسلام يشمل أمور المسلمين في جميع مناحي الحياة ويشمل الأفراد والمجتمعات والشعوب والقبائل، فإن وجد السلام انتفت الحروب والضغائن بين الناس، وعمت الراحة والطمأنينة والحريّة والمحبة والمودة بين الشعوب.

كما أن الوفاء بالعهود، ومنع العدوان، وإيثار السلم على الحرب الا للضرورة وإقامة العدل والانصاف، ودفع الظلم، من القواعد الأساسية لتحقيق السلام بين الشعوب والمجتمعات، فلا يعتدي أحدٌ على حق أحدٍ، ولا يظلم أحدٌ أحداً، فالإسلام يسعى دائماً الى استقرار الأمة الاسلامية، كما يستعى الى استقرار علاقات المسلمين بالأمم الاخرى.

خامساً: هناك دور واضح للفكر التربوي للإمام زين العابدين عليه السلام، متمثلاً في إشاعة التراحم بين الناس ونبذ العنف والتطرف بكل صوره ومظاهره، وكذلك في نشر ثقافة الحوار الهادف بين أتباع الأديان والثقافات لمواجهة المشكلات وتحقيق السلام بين مكونات المجتمعات الإنسانية وتعزيز جهود المؤسسات الدينية والثقافية في ذلك.

سادساً: إنّ القيم التربوية مرتبطة الواحدة بالأخرى، اذ ليس من الصواب الاهتمام بقيمة واهمال القيم الأخرى؛ لأن كل واحدة منها تكمل الأخرى، وهذا التداخل فيما بينها يجعلها تشكل كتلة واحدة، فالعدل بحاجة إلى الشجاعة

والحكمة، والعز، والكرامة لا بدّ لها من التضحية والشجاعة التي قد يكون طريقها الشهادة، وهكذا تتداخل هذه القيم فيما بينها لتشكل الإنسان المؤمن الذي هو هدف التربية الاسلامية.

سابعاً: يعد الفكر التربوي للإمام زين العابدين عليه السلام شأناً عظيماً، فما كان أمراً شخصياً ولا هدفاً قومياً او وطنياً بل كان عالمياً وشمولياً، اذ شجع على السلام الذي هو الأصل الذي يجب أن يسود العلاقات بين الناس جميعاً، فالمولى عز وجل عندما خلق البشر لم يخلقهم ليتعادوا أو يتناحروا ويستعبد بعضهم بعضاً، وإنما خلقهم ليتعارفوا ويتآلفوا ويعين بعضهم بعضا، فالإسلام يدعو الى استقرار المسلمين واستقرار غيرهم ممن يعيشون على هذه الارض، ويكشف لنا التاريخ أن جميع الحضارات كانت تواقة من أجل تحقيق السلام العالمي.

ثامناً: يعد الفكر التربوي للإمام زين العابدين عليه السلام ضرورة حضارية باعتبارها ضرورة لكل مناحي الحياة البشرية ابتداء من الفرد وانتهاءً بالعالم أجمع فبه يتأسس ويتطور المجتمع.

ثانياً: التوصيات:

في ضوء النتائج، فإن الباحث يوصي بما يلي:

١- يجب على الأسرة في ظل الظروف الراهنة العمل على غرس القيم الدينية المستندة إلى الامام الإمام زين العابدين عليه السلام في نفوس الأبناء وخاصة في مرحلة الشباب وإكسابهم القيم الأخلاقية والاتجاهات والأنماط السلوكية المحمودة التي يمكن عن طريقها مواجهة الغزو الفكري.

٢- أن تعمل جميع المؤسسات وهيئات التوجيه على جميع مستوياتها على بث الموضوعات المتصلة بالأخلاق والمجتمع ودعوة الشباب إليها وترغيبهم وتحببهم فيها وحملهم عليها مع تجنب ما يتعارض وقضايا الدين والأخلاق.

٣- أن تتضافر الصحافة ووسائل الإعلام وأجهزة المسرح والسينما مع مؤسسات التنشئة الاجتماعية في إرساء القيم الدينية المستندة إلى الإمام زين العابدين عليه السلام في

نفوس الشباب عن طريق القدوة الحسنة والإلتزام الأمين حتى لا يرى الفرد من صور الفعل ما ينافي حقائق ما يتلقاه عن الدين وتعاليمه وما اكتسبه من قيم أخلاقية.

٤- تبنيّ واضعي المناهج الدراسية، لاسيما تلك المتعلقة بترسيخ القيم مثل مادة التربية الاسلامية المنظومة القيمية المطروحة في هذا البحث ومحاولة تثبيتها في نفوس الطلبة من طريق طرح الموضوعات التي تؤكدها، ومن المستحسن اقتباس عدد من النصوص التي قالها الإمام علي بن الحسين عليه السلام ووضعها داخل هذه المناهج أو تُضمنها كمحتوى في بعض الكتب مثل المطالعة والأدب والنصوص في المراحل الدراسية المختلفة.

٥- أن تركز وسائل الإعلام على تقديم القدوة الحقيقية ائمة أهل البيت عليهم السلام من الرموز الذين يتعلم منهم الشباب قيم الأخلاق الرفيعة خاصة في الدراما التاريخية والدينية وتقديمها في وقت كثافة المشاهدة التليفزيونية وليس في آخر الليل أو قرب الفجر كما يحدث في كل رمضان كل عام والحرص على الابتعاد عن الأدعياء ممن يرتدون ثبات القدوة والخلق القويم ونكتشف أنهم غير ذلك فيما بعد.

٦- التنبه عند القيام بصياغة الأهداف ووضع الخطط التربوية والقياس والتقويم والإدارة التربوي ووضع المناهج التربوية...إلخ في المجتمعات الإسلامية من عذوبة المصادر التي يستقى منها، وضرورة ملاءمتها لعقيدة الوحي الإلهي المبين.

٧- توجه الدراسات التربوية نحو تراث المسلمين بغية تنقيته، وتجديده، وتطويره ونقله إلى الأجيال اللاحقة، وذلك في ضوء أحكام القرآن الحكيم الذي يمثل عماد حياة الوجود الإسلامي والإنساني على السواء.

٨- تركيز المناهج التعليمية ومعلمي المدارس، والجامعات، والكليات التعليمية على رسم صورة حقيقية لتراث المسلمين دون أي نوع من التحيزات، وعدم إضفاء جو من التقديس على موروثات المسلمين غثًا كان أو سمينًا.

٩- الإفادة من الفكر التربوي للإمام زين العابدين عليه السلام عند رسم السياسات التعليمية

للمجتمعات.

١٠- ضرورة قيام المؤسسات التربوية والتعليمية والاجتماعية بواجبها في مواجهة الغزو الثقافي الأجنبي والعودة للموروث الثقافي المستمد من القرآن الكريم بما يحويه من قيم أصيلة تتناسب وتقاليدنا الإسلامية، وواقعنا التربوي.

المقترحات:

١. إجراء دراسة تجريبية لمعرفة أثر نصوص مختارة للإمام زين العابدين عليه السلام على التحصيل الدراسي.

٢. إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية لمعرفة الاتجاه والدافعية نحو الفكر التربوي عند اهل البيت عليهم السلام

٣. إجراء دراسات تربوية تتناول عناصر الفكر التربوي المعلم، المتعلم.

٤. إجراء دراسات تربوية تبين أصول الفكر التربوي عند المفكرين والفلاسفة العرب والمسلمين الآخرين.

مستخلص البحث..

إن التربية حينما تصوغ أهدافها ومبادئها فإنها تسعى جاهدة لأن تكون هذه الأصول متلائمة مع عقيدة المجتمع وفكره والقيم التي يؤمن بها فتعمل على تربية الإنسان في إطاره الاجتماعي بواسطة الأهداف والغايات التي تحددها الفلسفة العامة للمجتمع والمبادئ الأساسية التي يؤمن بها الأمة والمعتقدات التي يعتنقها أفرادها إذ بدونها تفقد أهداف التربية المصدر الأساسي لها.

ويعد الفكر التربوي للإمام زين العابدين عليه السلام جانباً مهماً في حياة الفرد والمجتمع وهو موجه وضابط للسلوك الإنساني، كما يلعب دوراً مهماً في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي، ويساعد في إعطاء المجتمع وحدته.

لذلك لا بدّ من الاهتمام به لبناء مجتمع فاضل تسوده القيم النبيلة، وتشيع بين افراده روح المحبة والتعاون والأخاء.

بعد ان سادت في المجتمع متغيرات التي شكلت العالم المعاصر وهي: معرفية ومعلوماتية واقتصادية وسياسية وثقافية، ويتضمن كل تغير منها جدلاً علمياً وأيديولوجياً، بل ويؤثر كل منها في الآخر، لتشكل في النهاية البيئة المحيطة بالنظام القيمي، وتفرض هذه المتغيرات آثاراً ومضامين عميقة وعديدة ذات صلة بالنظام القيمي ومكوناته وعناصره، ومن أبرز هذه الآثار: البحث والتطوير، والمعلوماتية، والتنافسية الاقتصادية، والديمقراطية والمواطنة، والمعيارية والتعددية الثقافية، وهي آثار وتحديات تمس والمجتمع، وهذه المتغيرات تستلزم سرعة التحرك في التعامل معها، وتوجيهها.

كما يعد الفكر التربوي للإمام زين العابدين عليه السلام أحد العوامل المهمة في بناء المجتمع ونشر التماسك الاجتماعي بين المواطنين، فهو ممارسة إنسانية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكل معاني الخير والعمل الصالح عند كل الناس.

كما اصبح الفكر التربوي للإمام زين العابدين عليه السلام من القضايا المهمة في نقل التراث الثقافي، طالما ان لكل أمة الحق في احياء تراثها، ويعد هذا الفكر من ضمن ما تقوم به الأمة في عملية نقل التراث الاسلامي من جيل إلى جيل آخر، فالأمة كلما ازدادت في التقدم والرقي، ازداد عطاء وانغماس أفراده. كما أصبح احياءه جزءاً مهماً في حياة الناس.

وقد أختير موضوع البحث تحسّساً بأهميته، ويأتي ذلك لتقديم ما يمكن أن يسهم في تفعيل وتطوير المجتمع وتوسيعه ليشمل أكثر من منحنى مما يخدم مسيرة الأمة الاسلامية.

Abstract:

Education, when formulating its objectives and principles, strives to ensure that these assets are compatible with the social creed and the ideas and values that it believes in. It works to raise man in his social framework by means of the goals and objectives set by the general philosophy of society and the basic principles of the nation and the beliefs espoused by its members. The objectives of education are its primary source.

The educational thought of Imam Zain Al-Abdeen (Peace be on Him) is an important aspect in the life of the individual and society. He is a guide and an officer of human behavior. He plays an important role in achieving psychological and social harmony and helps in giving society its unity.

Therefore, it is necessary to pay attention to building a virtuous society governed by noble values, and a spirit of love, cooperation and brotherhood is shared among its members.

The changes that have shaped the contemporary world are: knowledge, information, economics, politics and culture. Each change includes a scientific and ideological debate that affects each other, ultimately forming the environment surrounding the value system. These variables have many profound and relevant implications. In the value system and its components and components. The most important of these effects are: research and development, informatics, economic competitiveness, democracy and citizenship, normative and multiculturalism, the effects and challenges affecting society, and these variables require quick action in dealing with them,.

The educational thought of Imam Zain Al-Abdeen (Peace be on Him) is one of the important factors in building society and spreading social cohesion among citizens. It is a human practice that is closely related to all the meanings of good and good deeds among all people.

The educational thought of Imam Zain Al-Abdeen (Peace be on Him) is one of the important issues in the transfer of cultural heritage, so long as each nation has the right to revive its heritage. This thought is part of what the nation is doing in the process of transferring the Islamic heritage from generation to generation. Increased progress and progress, increased tenderness and disintegration of its members. Its revival has become an important part of people's lives.

The subject of the research was chosen as a sense of importance, and this comes to provide what can contribute to the activation and development of society and expand it to include more than a curve, which serves the march of the Islamic nation.

هوامش البحث

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.
(٣) سورة الاعراف: الآية ٣٢.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- محفوظ، محمد جمال الدين، تربية المراهق في المدرسة الإسلامية، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، ص٩.

٢- عبد الدائم، عبدالله، التربية العربية، مجلة الدوحة، العدد٦١، قطر، ١٩٨٣، ص١٧.

٣- محمد، محمد علي. الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص٥.

٤- النحلاوي، عبد الرحمن. "أصول التربية الإسلامية"، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٩. ص١.

٥- المصدر نفسه ص٣٢.

٦- الغالي، أخراشوا. الفكر التربوي العربي المعاصر بين إكراهات الواقع ومطامع المستقبل، مجلة العلوم التربوية والنفسية، مجلد ٣، عدد ٢، ص ١٥٠-١٥٧، .٢٠٠١

٧- أبو دف، محمود والمزين، سليمان. دراسات في التربية النوعية، مكتبة آفاق، غزة ، ص١١، .٢٠٠٦

٨- الجابري، محمد عابد. إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مجلة المستقبل العربي، عدد (٦٩)، السنة السابعة ص٦٩، ١٩٨٤.

٩- طهطاوي، سيد أحمد. القيم التربوية في القصص القرآني، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٢٩، ١٩٩٦.

١٠- سمارة، سامي محمد. القيم التربوية المتضمنة في شعر علي بن أبي طالب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة،٢٠٠٠، ص٨.

١١- المصدر نفسه ص١٣٥.

١٢- البحار ج ٤٦ص٣.

١٣- https://forums.alkafeel.net/showthread.php?t=89069

١٤- مؤسسة البلاغة، نفحات من السيرة، لجنة التأليف، مؤسسة البلاغة، ط٣،ايران، ٢٠٠٤. ص١٤٦

١٥- لجنة التأليف مركز الطباعة والنشر للمجمع العلميً لأهل البيت ٢٤ ط١، مطبعة ليلى، ١٤٢٢هـ. اعلام الهداية، الإمام زين العابدين، العقد الفريد: ٢٥١/٢،).

١٦- (المصدر السابق، أعلام الهداية، ١٤٢٢هـ، ص١٦١)

١٧- (ابن الاثير/ الكامل في التاريخ،ج٤،ص٤٨)٠

١٨- القيسيّ، ميادة إبراهيم طالب حياوي. القيم التربوية في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام كلية التربية/ابن رشد / جامعة بغداد (رسالة ماجستير غير منشورة)،٢٠٠٨، ص٢٥-٢٨.

١٩- الكيلاني، ماجد عرسان. تطور مفهوم النظرية التربوية، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٥، ص ٢٦٥-٢٦٨.

٢٠- النباهين، علي. أصول التربية الإسلامية، جامعة الأزهر، غزة، ١٩٩٥، ص٨-١٢.

٢١- علي، سعيد إسماعيل. رؤية إسلامية لقضايا تربوية، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٣، ص٢٥٣.

٢٢- العمايرة، محمد حسن. الفكر التربوي الإسلامي، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٠، ص١٤٢.

٢٣- خياط، محمد. "التحدي الإعلامي في مجال التربية"، دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية، جامعة حلوان، العدد الأول، ١٩٩٦، ص.٥٧

٢٤- زيغور، شفيق. الفكر التربوي عند العلموي، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٦، ص.٨

٢٥- الشيباني، ١٩٧٥، ص٤٩٨.

٢٦- طهطاوي، سيد أحمد. القيم التربوية في القصص القرآني، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٩٦، ص٢٤.

٢٧- الصاوي، محمد. دراسات في الفكر التربوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ص١٧٢٣،٤.١٩٩٩

٢٨- الزيادي، احمد، الخطيب، إبراهيم. مفاهيم أساسية في التربية الإسلامية والاجتماعية، دار الثقافة، عمان، ٢٠٠١، ص ١١٣.
٢٩- الأسمر، أحمد رجب. فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء "، الطبعة الأولى، دار الفرقان للنشر والتوزيع،الأردن،١٩٧٩، ص ٣٩٣.
٣٠- أبو بكرة، عصام. تطور مقياس القيم الإسلامية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مجلد ١٣ ، العدد ١، ١٩٩٨، ص ٤٧- ٧٢.
٣١- التل، شادية. المنظومة القيمية لطلبة جامعة الزرقاء الأهلية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات٠ ٤٤- ،مجلد ٧،عدد ١، ٢٠٠٣، ص ١١- ١١٣.
٣٢- يعقوب، علي محمد، الطفولة من منظور إسلامي، الطبعة الأولى مكتبة الفلاح، ٢٠٠٢، ١٠٦
٣٣- ملك، بدر محمد، التوجيه الثواب أم العقاب، سلسلة تربية الأبناء الرابعة، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت ٢٠٠٤، ص.٢٣
٣٤- زاهر، ضياء. القيم في العملية التربوية، مؤسسة الخليج العربي، الرياض،١٩٨٤، ص.٧
٣٥- محمد، هناء السيد. التلفزيون والتنشئة الثقافية لطفل الريف - دراسة تطبيقية بالقرية المصرية، الطبعة الأولى، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩٩، ص٢١٣.
٣٦- الشرقاوي، حسن. نحو تربية إسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر،،١٩٨٣، ص١٣٩.
٣٧- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. منهاج العابدين، تقديم الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، القاهرة ،١٩٧٢. ص١٠٠.
٣٨- الشرقاوي، مصدر سابق، ص١٥٥.
٣٩- صالح، عايدة شعبان ديب. برنامج مقترح لتنمية القيم الأخلاقية لدى أطفال الرياض بمحافظة غزة، اطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، مصر،٢٠٠١، ص٤٤.
٤٠- حسن، السيد الشحات أحمد. الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٨٨، ص٦٧.
٤١- بكر، عبد الجواد السيد. فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٨٣، ص٣٦٥
٤٢- (المصدر السابق) ص٣٦٥.
٤٣- صالح، عايدة شعبان ديب. برنامج مقترح لتنمية القيم الأخلاقية لدى أطفال الرياض بمحافظة غزة، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، مصر،٢٠٠١، ص.٤٣

٤٤- (المصدر السابق) ص ٤٢.
٤٥- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. منهاج العابدين، تقديم الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، القاهرة ،١٩٧٢. ص١٨٧.
٤٦- محمد الصاوي،. دراسات في الفكر التربوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ص١٩٧،١٩٩٩، ٤
٤٧- سمارة، سامي محمد. القيم التربوية المتضمنة في شعر علي بن أبي طالب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة،٢٠٠٠. ص١٩١.
٤٨- الحمد، ١٤٠٩هـ، ص١٨.
٤٩- (القرطبي، ١٣٧٢هـ، ص١٠
٥٠- زاهر، ضياء. القيم في العملية التربوية، مؤسسة الخليج العربي، الرياض،١٩٨٤، ص٢٧.
٥١- القيسيّ، ميادة إبراهيم طالب حياوي. القيم التربوية في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام كلية التربية/ابن رشد / جامعة بغداد (رسالة ماجستير غير منشورة)،٢٠٠٨، ص٢٥-٢٨.